وما سواها (283)

عاهة اليأس الفاعلة فينا!!

د. صادق السامرائي
الطب النفساني، العراق / أمريكا

الشعور السائد في وعينا الجمعي مشحون باليأس , ويطغى عليه الحزن , وتنتشر الرثائيات والبكائيات وجلد الذات في خطاباتنا وكتاباتنا وأشعارنا , وما ينتجه المفكرون من رؤى وتصورات فاعلة في تعزيز الأحاسيس السلبية المناهضة لإرادة الحياة

العالم ينشغل بالنتائج ذات الربحية والقدرة على تنمية الإقتصاد وتشغيل مصانع الأسلحة , وإمتهان الأمم والشعوب وإستعبادها بالسلاح وما يتصل به من خدمات , ما دامت تستورده من الآخرين , لتحارب في سبيلهم

أن جوهر الويلات المتصاعدة يمكن إختصاره بعاملين أساسيين هما اليأس والفقر أو البؤس , وبنشاطهما تتحقق نتائج فظيعة تعصف في الدنيا

الفقر يعصف بمعظم البشر , ويحشره في زوايا خانقة مظلمة يتساوى عنده فيها الموت مع الحياة , ولا يكاد يفرق بينهما , فيكون هدفه أن يتخلص من معتقل الفقر , فأي زنزانة أخرى

اليأس: القنوط , الإستسلام , فقدان الأمل.

الشعور السائد في وعينا الجمعي مشحون باليأس , ويطغى عليه الحزن , وتنتشر الرثائيات والبكائيات وجلد الذات في خطاباتنا وكتاباتنا وأشعارنا , وما ينتجه المفكرون من رؤى وتصورات فاعلة في تعزيز الأحاسيس السلبية المناهضة لإرادة الحياة , والمستاءة من الحاضر والمستقبل , والممعنة بنبش تراب الغابرات , وإلقاء اللوم على الذي مضى وما إنقضى!!

وهذه بعض الإقترابات من عاهة اليأس الفاعلة فينا:

أو: تجارة اليأس والفقر!!

العالم ينشغل بالنتائج ذات الربحية والقدرة على تنمية الإقتصاد وتشغيل مصانع الأسلحة , وإمتهان الأمم والشعوب وإستعبادها بالسلاح وما يتصل به من خدمات , ما دامت تستورده من الآخرين , لتحارب في سبيلهم , ولهذا يجتهد بتطوير النتائج وتعقيدها وتغييب الأسباب.

ومن الواضح ووفقا لرؤى جهابذة الفكر والعلم في الدنيا , أن جوهر الويلات المتصاعدة يمكن إختصاره بعاملين أساسيين هما اليأس والفقر أو البؤس , وبنشاطهما تتحقق نتائج فظيعة تعصف في الدنيا , ولن تهدأ ما دامت قدرات تنميتهما أقوى بكثير من قدرات تحجيمهما ومعالجتهما.

فالفقر يعصف بمعظم البشر , ويحشره في زوايا خانقة مظلمة يتساوى عنده فيها الموت مع الحياة , ولا يكاد يفرق بينهما , فيكون هدفه أن يتخلص من معتقل الفقر , فأي زنزانة أخرى أرحم منه وأفضل , ولهذا فأن الفقر طاقة دافعة للقيام بما لا يخطر على بال من السلوك.

والمشكلة الغريبة التي تواجه البشرية أن الأسود الراتعة المتخومة , ترى أن القضاء على الفقر يكون بالقضاء على الفقراء , لأن في ذلك وسيلة لزيادة التأسّد والتقدم والإزدهار.

واليأس من أشد الحالات والعوامل التي تأخذ البشر إلى مهاوي المخاطر , وتدفع به للإتيان بالأعمال المروعة المنبثقة من براكين اليأس المنحبسة في الصدور والنفوس , وما أكثر اليائسين في المجتمعات التي أوجعها الظلم والقهر والحرمان , وعصفت فيها أمّارات السوء والبغضاء , وهذا يدفع وبقوة عارمة نحو مهاوي الفظائع والآثام.

ويطبّق المتأسدون ذات القاعدة على اليائسين , بقولهم لكي تتخلص من اليأس علينا أن نقضي على اليائسين , فنوفر لهم الوسائل الكفيلة بالتعبير عن يأسهم , وسينتحرون حتما بيأسهم , ويدمرون أنفسهم ومجتمعاتهم , وما علينا إلا أن نوفر لهم السلاح الكفيل بالقضاء عليهم أجمعين.

وبهذا تبدو الحالة وكأنها صراعات غاشمة ما بين فقير مسلح ويائس مسلح , وتلك أكبر وأقبح لعبة جرت فوق التراب ويمارسها الملعوب بهم من اليائسين والفقراء المحرومين , والأسود تتضاحك وتأكل فرائسها السمان , وهي متبخترة بكبريائها في عرائشها الخضراء الزاهية بالحياة.

فليأكل اليائسون والفقراء الموت هنيئا مريئا , وليتمتع المفترسون بأنخاب سعادتهم الوحشية , وتلك معادلة الحياة عندما يكون البشر فيها عبيدا للبشر المُستعبَد ببشر آخر في مسلسل النيل من البشر وقهره وإمتهان وجوده , وتدجينه ليكون أرقاما على يسار أهرامات الإقتدار والسطوة والتسلط , والإستبداد المقنّع بشعارات الديمقراطية والدين , وغيرها من الأضاليل والخداعات والتسويغات لكل عمل مشين.

ثانيا: تُجّار اليأس!!

الذين يتاجرون باليأس كثيرون في مجتمعاتنا وعلى رأسهم العديد من الذين يدّعون الدين , ويتمظهرون على هيئة العارفين به.

وهذه التجارة بالنسبة لهم مربحة ورائجة ويستثمرون فيها أيما إستثمار.

وهي سهلة لا تحتاج لرأس مال سوى أن تخادع الناس , وتنمي جهلهم وتضللهم وتأخذ منهم ما تشاء.

وما يميز مجتمعاتنا أن الذين يتحكمون بمصيرها يشتركون بهذه الصفة ويتمسكون بها , ولا يسمحون لأنفسهم بالنظر إلى غيرها , وبما أن تجارة اليأس فائقة الربحية , فأن مشاريع تعزيزها متواصلة ومتفاقمة وعلى جميع المستويات.

ويا ليتهم يتبصرون , وينظرون ويتفكرون , لتحرروا من أقبية اليأس ولشاهدوا الحياة وتعرفوا على حقيقتها وضروراتها وعوامل تطورها وتقدمها , لكنهم يخافون الخروج ويكرهون النور , ويترعرعون في الظلام الدامس الشديد.

قال أحدهم: النور يعمي العيون ويُذهِب الأبصار!!

وكأنه يريد القول , بأنه يفسد تجارتنا ويتسبب لنا بخسائر كبيرة , لا نسمح بها.

وقال آخر: الويل للذين يريدون إفساد الناس , كيف لهم يشجعونهم على الرؤية والنظر , إنه من الممنوعات , ومن الإثم المبين.

وقال قائلهم: دعونا نتمتع بما نحصد من صيد الرعاع.

وإذا هم أفاكون دجالون مخادعون , يُظهرون غير ما يبطنون , ويريدون الناس أن يفعلوا ما يقولون لهم , ولا يريدونهم أن يفعلوا مثلما هم يفعلون.

تلك حقيقة المرارات والتداعيات الحاصلة في واقعنا السقيم , الذي طلّق الدنيا بالثلاث , وتركها للمُدّعين بكل شيئ مشين , لكنهم يقدمون أنفسهم للناس على أنهم من رسل الرحمن الرحيم , وما هم إلا أباليس سوء وبغضاء , وأكرم منهم الشيطان الرجيم.

فالويل لمن ينافق , ويساهم في رمي الناس في جحيم الويلات , ويؤهلهم لسفك الدماء والصراع الشديد مع بعضهم البعض , لكي يجني من وراء تجارته وبضاعته المغشوشة زقوم الحياة الدنيا وجحيمات الآخرة.

فهل ممن يقف بوجه هذه التجارة , وينادي بغيرها , لكي تخرج المجتمعات من الظلمات إلى النور؟!!

ثالثا: اليأساوية والمأساوية!!

تردني مقالات لمفكرين بارعين ولكتاب ذوي أقلام متمرسة , وما يجمعها أنها مكتوبة بمداد اليأس ومعبرة عن المأساوية ومعززة لها ومبررة , وتمعن في تحليلاتها للوصول إلى أن ما هو قائم تحصيل

أرحم منه وأفضل

اليأس من أشد الحالات والعوامل التي تأخذ البشر إلى مهاوي المخاطر , وتدفع به للإتيان بالأعمال المروعة المنبثقة من براكين اليأس المنحبسة في الصدور والنفوس

يطبّق المتأسدون ذات القاعدة على اليائسين , بقولهم لكي تتخلص من اليأس علينا أن نقضي على اليائسين

نوفر لهم الوسائل الكفيلة بالتعبير عن يأسهم , وسينتحرون حتما بيأسهم , ويدمرون أنفسهم ومجتمعاتهم , وما علينا إلا أن نوفر لهم السلاح الكفيل بالقضاء عليهم أجمعين

ليأكل اليائسون والفقراء الموت هنيئا مريئا , وليتمتع المفترسون بأنخاب سعادتهم الوحشية , وتلك معادلة الحياة عندما يكون البشر فيها عبيدا للبشر المُستعبَد ببشر آخر في مسلسل النيل من البشر وقهره وإمتهان وجوده

الذين يتاجرون باليأس كثيرون في مجتمعاتنا وعلى رأسهم العديد من الذين يدّعون الدين , ويتمظهرون على هيئة العارفين به

هذه التجارة بالنسبة لهم مربحة ورائجة ويستثمرون فيها أيما إستثمار.
وهي سهلة لا تحتاج لرأس مال سوى أن تخادع الناس , وتنمي جهلهم وتضللهم وتأخذ منهم ما تشاء

حاصل لما ذهبوا إليه من إقترابات وتفسيرات , وكأنهم قد إفترضوا أنه أمر لازم وراحوا يبحثون عما يؤكد حصوله وتكراره وإستفحاله.

وبمعنى آخر أن هذه الكتابات تصب الزيت على النار , وتجرد القارئ من إرادة الفعل وتجعله ينزف الأمل ويتمرغ باليأس ويستعذب المآسي والويلات.

ولا يُعرف إن كانت هذه الكتابات مقصودة أو مدفوعة الثمن , أم أنها عفوية وتتوهم بأنها تساهم في حل المشكلة وتنوير الرأي العام , لأنها تبعث على الحيرة والعجب والتساؤل.

فما فائدة الكتابات اليأساوية , وما قيمة الدعوة لإستلطاف المآسي والقهر والفقر المدقع والترنم بالوجيع؟!

إن ما تضيفه هذه الكتابات هو المزيد من الآلام والتشويش والإنكسار وعدم المبالاة بالدمار والخراب والفساد , وتحاول تجريد المواطن من المسؤولية وتبرر له التبعية والإذعانية والخنوع للآخر أيا كان عنوانه ودوره , فالمهم أن يتحقق الرضا والإستسلام , فما يجري مكتوب ومحتوم , وعلى الناس أن تستعذبه وتأنس به ولا تفكر بسواه.

ويبدو أنها نابعة من مواقف عاطفية إنفعالية تستعبد العقل وتجنده لتبرير الحالة النفسية للكاتب والمفكر , أي أنها تعكس ما يعتمل في النفس , وبهذا فهي كتابات غير موضوعية وعاجزة عن بث إرادة التغيير والإقدام في القارئ , وإنما تعزز إستعباده وإمتهانه , وتوهمه بأن الحياة في اليأس , والفوز بالنعيم يتحقق بالمأساة التي عليه أن يكابدها.

كما تطرح مفاهيم مناهضة لإرادة المكان ومسيرة الزمان , وتدفع الناس إلى الإندفاع نحو الذين يستثمرون بإستحضار الماضيات والغابرات , ويمعنون بالتضليل والتنكيل والتحريف والجدل المؤديَن الفعّال الذي يخطف القلوب والأبصار , ويميل للتقديس والتأليه والإيمان بأن بعض البشر نواب خالق الأكوان يتسلطون على رقاب العامة ويمتهنون مصيرهم ويفترسون وجودهم.

ولهذا تجدها عاجزة عن إستحضار المستقبل والعمل على تأكيده والعيش فيه , لأن المستقبل أصبح من المحرمات , لتقاطعه مع الغابرات الفاعلات في الوعي الجمعي للناس المضطهدين , والمأخوذين بالذين يوهمونهم بأنهم يمثلون دين.

وهي مقالات تعلن الهزيمة الحقيقية للمثقفين وإعترافهم بفشلهم الصريح , لأنهم عجزوا عن صناعة التيار المعرفي القادر على مواجهة تيار إحتضار الأمة ودفنها في أجداث الباليات.

فلا عجب من إنثيال هذه المقالات وتسويقها العنيف في المواقع والصحف والكتب والمجلات , لأنها تخدم المرحلة وتؤدي واجب تمرير الصفقات , وكتابها يساهمون في ذلك وكأنهم من المغفلين , الذين يطفئون أنوار العقل بدلا من إيقاد المشاعل , ومطاردة ظلام العصور الجاثم على نهارات الوجود الساطعة!!

فهل من إرادة تفاؤلية بدلا من التراجيديا العارمة البلاء؟!!

رابعا: أقلامٌ يائسة ورؤوس يائسة!!

أقلام تكتب بمداد الكآبة واليأس المقيت , وتستحضر المفردات السلبية ذات الشحنات العاطفية الحزينة الموجعة , لترسم حالة متصورة ساكنة فيها ومعبرة عما يعتريها من عواطف ومشاعر , ذات تداعيات وإنكسارات نفسية وسلوكية قاتمة.

والعجيب في الأمر أن كتابات كهذه تسري في مواقع التواصل وكأنها النار في الهشيم , وكتّابها من الجاهلين في التأريخ والسلوك البشري , ويضعون لها عناوين على أنها التحليل النفسي للواقع المعاش , أو

أن الذين يتحكمون بمصيرها يشتركون بهذه الصفة ويتمسكون بها , ولا يسمحون لأنفسهم بالنظر إلى غيرها , وبها أن تجارة اليأس فائقة الربحية , فأن مشاريع تعزيزها متواصلة ومتفاقمة وعلى جميع المستويات.

هل ممن يقف بوجه هذه التجارة , وينادي بغيرها , لكي تخرج المجتمعات من الظلمات إلى النور؟!!

ما فائدة الكتابات اليأساوية , وما قيمة الدعوة لإستلطاف المآسي والقهر والفقر المدقع والترنم بالوجيع؟!

هي كتابات غير موضوعية وعاجزة عن بث إرادة التغيير والإقدام في القارئ , وإنما تعزز إستعباده وإمتهانه , وتوهمه بأن الحياة في اليأس , والفوز بالنعيم يتحقق بالمأساة التي عليه أن يكابدها

كما تطرح مفاهيم مناهضة لإرادة المكان ومسيرة الزمان , وتدفع الناس إلى الإندفاع نحو الذين يستثمرون بإستحضار الماضيات والغابرات , ويمعنون بالتضليل والتنكيل والتحريف والجدل المؤديَن الفعّال الذي يخطف القلوب والأبصار

أقلام تكتب بمداد الكآبة واليأس المقيت , وتستحضر المفردات السلبية ذات الشحنات العاطفية الحزينة الموجعة , لترسم حالة متصورة ساكنة فيها ومعبرة عما يعتريها من عواطف ومشاعر , ذات

لما يسمونه بالشخصية الفلانية , وينسبون للمجتمع تسميات , فيعممون ويتهمون ويصفون الأحوال بما ليس فيها , ويتعاملون مع النتائج ويخشون مواجهة وتحدي الأسباب بالفعل الراجح والفكر الواضح , الذي يفند حجج الأدعياء الساهمين في غيهم وطغيانهم وفي فسادهم وغفلتهم يعمهون.

إنها كتابات يمكن تسميتها باللطميات القلمية!!

فهل هذا ما يجب أن يخطه المنسوبون للكتابة؟!!

الكتابة رسالة إنسانية , والكاتب عليه أن يبث روح الأمل والحياة ويكون قوة في تغيير الواقع إلى الأفضل , لا أن يكون أداة إستنقاع وتأسين للفساد القائق وجندیا وفيا للرذائل والأضاليل , وبوقا من أبواق الكراسي , ومتسولا عند أبواب الظالمين الجائرين المنافقين الدجالين , الذين باعوا وطنهم وضمائرهم وتجردوا من أخلاقهم , وخنوعوا وتعبدوا في محاريب التابعين لهم والذين يقلدونهم كالدمى , وبحماقة وسفاهة منقطعة النظير.

أ هذه أقلام ممولة , ومتاجرة بالكلمة , ومجردة من الموقف والمبدأ والقيم والأخلاق والضمير , ومدججة بالسوء والبغضاء , ومبرمجة ضد ذاتها وموضوعها؟

وإلا فلماذا تكتبون إذا أنتم تزيدون الطين بلة , وكتاباتكم تدعو لذرف الدموع , وسفك الدماء , والنيل من قيمة الإنسان , ونكران الوطن , ومحاربة الأمل , والإمعان بإستحضار مفردات السوء والكراهية , والحط من الإرادة والقوة , والقدرة على صناعة الحياة ومجد الذات والوطن؟!!

إكسروا أقلامكم وتدثروا في أسمال يأسكم السقيم!!

وفي الختام , يجب ان نرفض هذا الموقف القنوطي المتعارض مع بديهيات الحياة ولا تقره الأديان , وفي القرآن الكريم "...فلا تكن من القانطين" , لكن مسيرتنا بتفاعلاتها المتنوعة تساند سلوك القنوط والإستسلام ومقاتلة الأمل , ولا بد من التحدي والمواجهة والصمود بوجه معززاتها وروافدها الجادة في تعضيلها وإدامتها , لكي لا تتآكل الأمة وتذهب ريحها!!

فهل من صرخة نكون؟!!

تحاعيات وإنكسارات نفسية وسلوكية قاتمة

الكتابة رسالة إنسانية , والكاتب عليه أن يبث روح الأمل والحياة ويكون قوة في تغيير الواقع إلى الأفضل , لا أن يكون أداة إستنقاع وتأسين للفساد القائق وجندیا وفيا للرذائل والأضاليل , وبوقا من أبواق الكراسي , ومتسولا عند أبواب الظالمين الجائرين المنافقين الدجالين

يجب ان نرفض هذا الموقف القنوطي المتعارض مع بديهيات الحياة ولا تقره الأديان , وفي القرآن الكريم "...فلا تكن من القانطين

مسيرتنا بتفاعلاتها المتنوعة تساند سلوك القنوط والإستسلام ومقاتلة الأمل , ولا بد من التحدي والمواجهة والصمود بوجه معززاتها وروافدها الجادة في تعضيلها وإدامتها , لكي لا تتآكل الأمة وتذهب ريحها!!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa283-180121.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 20 من التأسيس و 18 على الويب
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3